الجزء الثالث عشر
سورة الرعد
الجزء ١٣ سُورَةُ الرَّعْدِ آياتها ٤٣
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الٓمٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

سورة الرعد

﴿الٓمٓرٰ﴾ الحروف للإشارة إلى إعجاز القرآن ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المعجز في بيانه، الذي فاق كل كتاب ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآنُ هو الحقُّ الساطعُ القاطع ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ خلقها بدون أعمدة، تشاهدونها بأم أعينكم، لا تستند على شيء ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ علا فوق العرش علواً يليق بجلاله ﴿تُوقِنُونَ﴾ تصدّقون بدون تشكّك ولا تردُّد ﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ بسطها فجعلها فسيحة مع كرويتها ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت لئلا تضطرب بكم ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ نوعين من الإنسان والحيوان والنبات، ليتمّ بذلك أسبابُ التكاثر ﴿يُغْشِى﴾ يغطّي ظلمة الليل بضياء النهار ﴿صِنْوَانٌ﴾ نخيلٌ تجمع فرعين أو أكثر، ونخيل ليس لها فروع وهي غير الصنوان ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ يُسقى بماء واحدٍ، والثمارُ مختلفة في الطعم والشكل، وهذا دليل القدرة الباهرة.

الجزء ١٣ الربع الأول ١٥٥ الحزب ٦٥

توضيح: بيّن تعالى أن الماء الذي تُسقى به الأشجارُ واحد، والتربة واحدة، ولكنّ الثمار مختلفات الأشكال والطعوم، فكيف اختلفت ألوانُها، وأشكالُها، وطعومُها، مع أن الماء واحد، والتربة واحدة؟ الأرضُ يكون فيها الخوخُ، والتفاح، والعنبُ الأبيضُ، والأسود، والبرتقالُ، والليمون، بعضها حلوٌ وبعضها حامضٌ، أليس بعجيب أن تختلف ألوانها وطعومها، مع أن الماء الذي يسقيها واحد؟ ولهذا ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي براهين لقوم يستعملون عقولهم ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ إن تعجبْ من أمرٍ، فليس هناك أعجبُ من قول المشركين: هل سنبعث من جديد؟ ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ تربط أعناقهم بالسلاسل الحديدية، ويُجرُّون إلى نار جهنم جرًّا، كما قال سبحانه: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ غافر آية (٧١ ـ ٧٢).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ
الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

﴿الْمَثُلَاتُ﴾ مضت عقوبات الأمم المكذِّبة، جمعُ مَثُلَة وهي العقوبة ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ معجزة تدلُّ على صدق رسالته ﴿تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ ما تلده قبل التمام ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ إلى تمام تسعة أشهر فتلده تاماً، فالمراد بالغيض: السقط الناقص، وبالازدياد: الولدُ التام ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن الأنظار وما هو مشاهدٌ بالأبصار ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم﴾ يتساوى عند الله ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾ من أخفى الكلام ومن أعلنه ﴿مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ مستترٌ بمعاصيه في ظلمات الليلِ ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ومستعلنٌ بفجوره في وَضَح النهار، الكلُّ عند الله سواء ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ للإنسان ملائكة يتعاقبون في حفظه وكتابة أعماله ﴿وَالٍ﴾ ناصر يدفع عنهم عذاب الله ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الرحمة والمطر ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ السحب الكثيفة المحمّلة بالمياه الغزيرة.

تنبيه: أمرُ السحابِ عجيبٌ، يحمل معه الرحمةَ والعذابَ، يحمل الماءَ وفيه الرحمةُ والإحياءُ، ويحملُ الصواعقَ وفيها العذابُ والإفناءُ، والجمعُ بينَ النقيضين من أسرار القدرة الباهرة، كما قيل:

جَمْعُ النَّقِيضَيْنِ من أسرارِ قُدْرته هٰذَا السَّحابُ بِهِ مَاءٌ به نَارُ

سبب النزول: بعث رسول الله ﷺ صحابياً إلى رجل من فراعنة قريش، وقال له: (اذهب فادْعُه لي، فذهب إليه وقال له: رسولُ الله يدعوك!! فقال: أخبرني عن إله محمد، أمنْ ذهبٍ هو؟ أم من فضة؟ أم من نحاس؟ يقول ذلك استهزاءً بالرب وبالرسول، فبينما هو يجادله إذ بعث الله سحابةً، أبرقتْ وأرعدتْ، ونزلت منها صاعقة، ذهبت برأس ذلك الشقي) رواه البزار ﴿الْمِحَالِ﴾ القوة والبطش، ينتقم من الكفرة المجرمين.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ لله جلّ وعلا الدعوةُ الحق، وهي دعوةُ التوحيد الخالص ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ﴾ هذا تمثيل رائع، مثّل للآلهة التي يعبدونها كمن يبسط كفيه للماء من بعيد، وقد اشتدَّ به العطش، يناديه ليصل الماء إلى فمه، ولا يستجيب له الماءُ، لأنه جمادٌ لا يسمع ولا يحسُّ بعطشه ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ليس التجاؤهم لأصنامهم ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ في خسران ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد كرهاً، حال الشدة والاضطرار ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ بالصباح والمساء ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ المراد بالأعمى: الكافر، وبالبصير: المؤمنُ ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ الظلماتُ: الضلالُ، والنورُ: الهدى، فلا يتساوى أهل الإيمان مع أهل الكفر ﴿جُفَآءً﴾ أمّا الزَّبَدُ الغثاءُ فيتلاشى ويضمحلُّ ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وأمّا الماء الصافي فيثبت في الأرض، فالحقُّ هو الثابتُ الدائم، والكفر هو الباطل الزائل، وهذا تمثيل بديع، مثّل للحق بالماء النافع ينزل من السماء، فتسيل به الأودية، وللباطل بالزَّبد الذي ينتفخ، ثم لا يلبث أن يتلاشى ويزول، والماءُ من تحته هادئٌ ساكن ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ أجابوا دعوة التوحيد، فآمنوا بالله ورسله ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة وما فيها من النعيم المقيم ﴿لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ الأشقياء الكفار الذين أنكروا وحدانية الله ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ لو كان لهم جميع ما في الدنيا من كنوز وأموال، ومثلُ ذلك معه، لبذلوه فداءً لأنفسهم، ولكنْ هيهات!! ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مسكنهم نار جهنم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ بئس هذا المستقرُّ والفراشُ الذي يصيرون إليه.

الجزء الثالث عشر — سورة الرعد

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ
﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ
﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

الحزب ٢٦

﴿أعمى﴾ أعمى البصيرة الذي يتخبَّط في الضلال، لا يتساوى العالم مع الجاهل ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ إنما ينتفع بهذه الأمثال أصحابُ العقول السليمة ﴿الميثاق﴾ العهد الذي قطعوه على أنفسهم ﴿ويدرءون﴾ يدفعون الجهل بالحلم، والشرَّ والعصيان بالطاعة والإحسان ﴿عقبى الدار﴾ لهم العاقبة المحمودة ﴿لا ينقضون عهد الله﴾ ينقضون عهودهم ولا يتمسَّكون بالمواثيق ﴿لهم اللعنة﴾ الطرد من رحمة الله ﴿سوء الدار﴾ العاقبة السيئة وهي نار الجحيم ﴿يبسط الرزق﴾ يوسعه على من يشاء ﴿ويقدر﴾ يضيّق الرزق على من يشاء بمقتضى الحكمة ﴿وفرحوا بالحيوة الدنيا﴾ فرحوا بنعيمها فرح أشر وبطر، وهي حقيرة زائلة ﴿أنزل عليه آية﴾ يقول الكفار: هلَّا أُنزل على محمد معجزة، كمعجزة موسى في فرق البحر، ومعجزة عيسى في إحياء الميت!؟ ﴿أناب﴾ رجع بقلبه إلى الله ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ تسكن وتستأنس قلوبهم بذكر الله وتسبيحه، ويجدون حلاوةً بذكر ربهم ﴿ألا بذكر الله﴾ ألا فانتبهوا أيها الناس، فإن ذكر الله سلوى للقلب، وراحةٌ للإنسان من الهموم والأكدار!! وفي الحديث الشريف: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» رواه البخاري، وسأل رجل رسول الله ﷺ عن شيء يتشبَّثُ به - أي يواظب عليه - فقال له: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله» رواه الترمذي.

الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌۢ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ۚ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۚ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ يا سعادتهم ويا هناءهم!! فلهم عيشٌ طيبٌ في الآخرة ﴿ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ حسنُ مرجع ومنقلب، **قال ابن عباس:** ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ قُرّة عين وفرح وبهجة لهم ﴿ مَآبٍ ﴾ مضت قبلها أمم كثيرون ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ وقومك يكفرون بالرحمن وينكرون القرآن ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ إليه توبتي ومرجعي ﴿ سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ لو أن قرآناً تسير بتلاوته الجبال ﴿ أَوْ قُطِّعَتْ ﴾ تصدّعت من هوله الأرض ﴿ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ خوطب به الموتى حتى قاموا من قبورهم وتكلّموا، وجوابه محذوف تقديره: لكان هذا القرآن، الذي يأتي بالخوارق والمعجزات، فأيّ معجزة يطلبون غير القرآن!! ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ﴾ أفلم يقنط المؤمنون من إيمان الكفار؟ ﴿ قَارِعَةٌ ﴾ كارثة وداهية تقرعهم بهولها وشدتها ﴿ فَأَمْلَيْتُ ﴾ أمهلت ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ كيف كان عقابي لهم؟ ألم يكن هائلاً فظيعاً؟ ﴿ قَآئِمٌۢ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ ﴾ رقيبٌ على كل مخلوق، يعلم ما يصدرُ منه، فهل الله كالأصنام التي لا تُبصر ولا تسمع؟ والغرض من الآية تسفيهُ عقولِ المشركين وأحلامهم، فقد جعلوا الإلهَ السميعَ البصيرَ، كالصّنم العاجز الحقير ﴿ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ مُنعوا عن طريق الهدى والإيمان ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ لا يقدر أحد أن يهديه ﴿ أَشَقُّ ﴾ عذابهم في الآخرة أثقل وأشدُّ إيلاماً. ﴿ مِن وَاقٍ ﴾ ليس لهم من يحفظهم ويحميهم من عذاب الله.

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ صفةُ الجنة التي أعدّها الله للمتقين ﴿ ٱلَّتِى ﴾ تجري من تحت قصورها وغرفها أنهار الجنة بالماء السلسبيل ﴿ أُكُلُهَا ﴾ ثمارها لا تنقطع ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ كذلك دائم لا يزول ﴿ تِلْكَ ﴾ هذه عاقبة المتقين الأبرار ﴿ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ وعاقبةُ الظلمة الفجار نار الجحيم ﴿ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ أهل الأديان الذين تحزّبوا على حربك ﴿ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ من ينكر بعض القرآن مكابرة ﴿ جَآءَكَ ﴾ صاروا إليك ﴿ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ صايرتهم في ما يشتهون ﴿ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ ليس لك من ينصرك ويقيك من عذابنا ﴿ وَذُرِّيَّةً ﴾ جعلنا لهم النساء والبنين، فلماذا يعترضون عليك في أمر الزواج؟ ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ ﴾ ينسخ الله ما يشاء نسخه من الأحكام، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه ﴿ عِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ اللوح المحفوظ الذي لا يتبدل ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بزيادة ديار المسلمين، ونقص ديار المشركين، وقيل: نقص الأرض بموت أشرافها، وعلمائها، وكبرائها! ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ لا يستطيع أحد أن يتعقّب حكمه بنقض أو تبديل ﴿ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ سريع الانتقام ممن عصاه. . نبّه تعالى أن استيلاء المسلمين على ديار المشركين، وظهورَ الإسلام على الشرك، من أظهر الأدلة على نصر الله لرسوله ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ لله جلّ وعلا أسبابُ القدرة على إهلاكهم، لا يستطيع أحد أن يدفع عنهم عذاب الله.

سبب النزول: عيّر اليهودُ رسولَ الله ﷺ وقالوا: ما نرى لهذا الرجل مهمة إلّا النساء، والتمتع بنكاحهن، ولو كان نبياً ـ كما يزعم ـ لشغله أمرُ النبوّة عن النساء!! فنزلت ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾
سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ
مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ
اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

سورة إبراهيم

﴿الر﴾ هذا الكتاب المعجز منظوم من أمثال هذه الحروف المقطّعة فأتوا بمثله إن استطعتم ﴿الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الجهل والكفر، إلى نور العلم والإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر الله وحكمه ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ﴾ هلاكٌ ودمار للكفرة الفُجّار، ويا ويلهم من عذاب الله ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ويفضّلون ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يصرفون الناس عن دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يريدون أن يكون دين الله معوجّاً يوافق أهواءهم ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ بلغة قومه لتتمّ الغاية من الرسالة ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بالمعجزات الباهرات ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ بنِعَمه عليهم، وبأيام النصر وإهلاك الأعداء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ في نصر الله لأوليائه، وإهلاك أعدائه، لعبراً وعظات لكل عاقل، وفي قوله تعالى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ تنبيه على أن رسالة موسى عليه السلام خاصة لقومه (بني إسرائيل) بخلاف قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ مما يدل على عموم رسالته ﷺ لجميع الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿صَبَّارٍ﴾ صيغة مبالغة يعني كثير الصبر على طاعة الله ﴿شَكُورٍ﴾ كثير الشكر على نعمائه جلَّ وعلا.

سبب التسمية: سميت السورة الكريمة سورة (إبراهيم) تخليداً لمآثر ومناقب أبي الأنبياء، وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام، الذي شيَّد صرح التوحيد، وحطَّم الأصنام والأوثان، فكان بحقٍّ خليلاً للرحمن.